ملخّص برنامج الخاتمة ـ الحلقة (٣٦١) / عبد الحليم الغزّي
على مائدة القمر ، شهر رمضان ١٤٤٣هـ (ج١١)
طبق المخلّلات الحامضة (ق٤)
-ما الحكمة من غيبة امام زماننا صلوات الله عليه
الاربعاء : ١١/شهر رمضان/١٤٤٣هـ ـ الموافق ١٣/٤/٢٠٢٢م

الجزءُ الرابعُ مِن عنواننا المتقدِّمِ في الحلقاتِ الماضية، طبقٌ مِن أطباقِ البراءة: "طبقُ المخلَّلاتِ الحامضة".
فيما تقدَّمَ في الأجزاء السالفة عرضتُ بينَ أيديكم مقطعاً من فيديو يتحدَّثُ فيهِ المرجعُ الجديد محمّد باقر الإيرواني عن الحكمةِ مِن غيبةِ إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، ولم تسنح لي الفرصة أنْ أُعلِّقَ بشكلٍ تفصيليٍّ بخصوصِ هذهِ المسألة..
وعدتكم أن أعرضَ لكم المقطعَ بشكلٍ كامل، وهوَ من نتاجاتِ مركز الدراساتِ التخصصيَّةِ في الإمام المهديّ صلواتُ اللهِ عليه، مِن مجموعةِ المراكز الَّتي تنضوي تحتَ خيمةِ المرجعيَّةِ السيستانية.
حديثُ الإيرواني بتأريخ: ٩/ شعبان/ ١٤٤٣ للهجرة ـ الموافق: ١٣/٣/ ٢٠٢٢ ميلادي.
مكانُ الحديث: العتبةُ العلويَّة في النَّجف الأشرف.
لا أريدُ أن أُعلِّق كثيراً على مضمونِ كلام الإيرواني، وإنَّما أتركُ الحُكمَ إليكم، لكن عليكم أن تُقارنوا بينَ ما تتحدَّثُ بهِ النَّجف وما تتحدَّثُ بهِ قناةُ القمر.
-عرض الفيديو الذي يتحدّث فيه باقر الإيرواني عن الحكمة من غيبة إمام زماننا.
تعليق: لا أريدُ أنْ أُعلِّق على حديثِ الإيرواني هذا، رُبَّما أصابَ في بعضِ جهاتِ حديثِهِ، ورُبَّما أخطأ في جهاتٍ أخرى، لكنَّ الحديثَ بِكُلِّ تفاصيلِهِ بعيدٌ عن مذاقِ ومسارِ ثقافةِ العترةِ الطاهرة، أنتُم شاهدتُم واستمعتُم.
• سأُجيبُ أنا على نفس السؤال الَّذي أثارهُ وحاولَ أن يُجيب عليه، ولكن وفقاً لمذاقِ ومسارِ ثقافةِ العترةِ الطاهرة:
الحكمةُ من غيبةِ إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه لا يُمكننا أن نحصرها في جهةٍ واحدة، ولا يُمكننا أن نُلخِّصها في نقطةٍ واحدة، غيبةُ الإمامِ أمرٌ عظيمٌ عظمتهُ تتفرَّعُ عن عظمةِ مشروعِ الإمامِ نفسهِ صلواتُ اللهِ عليه، إمامُنا عظيمٌ، عظيمٌ في ذاتهِ، عظيمٌ في صفاتهِ، عظيمٌ في أفعالهِ، عظيمٌ في قراراتهِ، عظيمٌ في كُلِّ شأنٍ من شؤونهِ، غيبتهُ هي الأخرى عظيمةٌ لأنَّها شأنٌ مِن شؤونهِ العظيمة، ولأنَّها ترتبطُ ارتباطاً مِفصليَّاً بمشروعهِ العظيم، أمرٌ عظيمٌ لا نستطيعُ أن نحصرَ حِكمتهُ وغايتهُ وأسبابهُ في جهةٍ واحدة، فلابُدَّ أن نعرفَ مِن أنَّ الحكمةَ في غيبةِ إمامِ زماننا صحائِفُها عديدة، أئِمَّتنا حَدَّثونا عن بعضِ صحائفِ هذهِ الغيبة وتركوا جانباً إلى زمانِ ظهورِ إمامنا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.
مِن جُملة ما حدَّثونا به؛ من أنَّ الإمامَ بادرَ إلى الغَيبةِ وغابَ تجنُّباً للقتل.
فإنَّ العباسيّين كانوا يبحثونَ عنهُ في كُلِّ مكان، وأكثرُ من ذلك عمّهُ جعفرُ الكذَّاب كانَ يسعى إلى قتلهِ، كانَ يبحثُ عنهُ في كُلِّ زاوية، في كُلِّ جهةٍ يتوقَّعُ أن يجدهُ فيها، تعاونَ من تعاونَ معهُ مِن الشيعةِ، وتعاونَ من تعاونَ معهُ مِن النَّواصبِ، وتعاونَ هُو معَ السلطاتِ العباسيّةِ آنذاك، وكُلُّ هؤلاء يُريدونَ قتلهُ، وهذا الأمرُ لم يتوقَّف، في زماننا هُناكَ الكثيرُ من الجهاتِ لو أنَّها عَلِمت بنحو الدقَّةِ بمكانِ وجودهِ صلواتُ اللهِ عليه فإنَّهم سيسعونَ إلى قتلهِ، وهذا الأمرُ ليسَ احتماليَّاً هذا أمرٌ قطعيٌّ، هُناكَ جهاتٌ في الوسط الشيعي وفي غيرِ الوسط الشيعي تُريدُ تصفيةَ الإمام وتُريدُ قتلهُ، ولذا حينما نكونُ قريبينَ مِن وقت الظهورِ فإنَّ الإمامَ يتحرَّكُ تحرُّكاً قد لا يكونُ سريَّاً إلى أبعد الحدود، بإمكان الأعداءِ أن يتلمَّسوا مكانهُ، مِن هُنا سيُبادرُ السُّفيانيُّ للسعي إلى قتلهِ أو إلقاء القبضِ عليه، وما جيشُ الخسفِ الَّذي سيُخسفُ بهِ في بيداء المدينة إلَّا كانَ دفعاً من السُّفياني لمحاولةِ قتل الإمامِ صلواتُ اللهِ عليه إن تمكَّنوا من ذلك، وسيصلُ جيشُ الخسفِ هذا في الساعات الأخيرةِ الَّتي تَسبِقُ الظهور الشريف وسيُخسَفُ بالجيش ويَصلُ خبرُ الخسفِ إلى الإمامِ وهو في مكّة في بدايةِ ظهورهِ الشريف، فأحاديثهم الشريفة حدَّثتنا في جانبٍ منها عن أنَّ السَّببَ الَّذي جعلَ الإمامَ يُبادِرُ إلى الغَيبةِ هو أن يتجنَّبَ القتل، هذهِ صفحةٌ من صفحاتِ الغيبة.
روايةٌ يُحدِّثنا بها أبو خالدٍ الكابلي عن إمامنا الباقر في (عوالم العلوم)، وقد وردت هذهِ الروايةُ في غيبة الطوسي:
أبو خالدٍ الكابلي يسألُ الإمامَ الباقر هكذا يقول: **سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ؛ أَنْ يُسَمِّيَ الْقَائِمَ عَلَيهِ السَّلام حتَّى اعْرِفَهُ بِاسْمِه، فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِد، سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ لو أَنَّ بَنِي فَاطِمَةَ عَرَفُوه لَحَرَصُوا عَلَى أَنْ يُقَطِّعُوهُ بَضْعَةً بَضْعَةً** ـ قِطعةً قِطعة، وهكذا كانَ ناوياً أن يفعل جعفرُ الكذَّاب وأولادهُ، وكانَ لهُ الكثيرُ من الأولاد، هذهِ القضيَّةُ واضحةٌ وواضحةٌ جِدَّاً؛ مِن أنَّ جهاتٍ تسعى لقتلِ إمامِ زماننا مُنذُ بداية الغيبةِ وإلى يومنا هذا، وإلى وقت الظهور الشريف.
صفحةٌ أخرى من صفحات الغيبة: الإمامُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه بادرَ إلى الغَيبةِ مثلما بَيَّن لنا في رسالتهِ الَّتي وصلت إلى إسحاقَ بن يعقوب عِبر السفير الثاني.
في (كمالُ الدين وتمامُ النعمة) للصَّدوق، الإمامُ في هذا التوقيع الشريف تحدَّثَ عن علَّة الغيبة، في جهةٍ من جهاتها، صفحة (٥١٢)، طبعةُ مؤسَّسةِ النشر الإسلامي، قم المقدَّسة: **وَأَمَّا عِلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَة فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول: "يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ**

أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ" - الإمامُ جاءَ بهذهِ الآيةِ كي يُذكِّرنا بقصَّةِ نزولها وما كانَ مِن شأنِ عُمر بن الخطَّاب في إساءتهِ لآلِ رسول الله، الحكايةُ مفصَّلةٌ وقد تحدَّثتُ عنها في حلقاتٍ سابقة، الإمامُ هنا يُشيرُ إلى أمرٍ مَعيبٍ لا يُريدُ أن يتحدَّثَ عنه، سنستكشفهُ مِن خِلالِ رسائلهِ إلى الشيخ المفيد، أمرٌ مَعيبٌ يرتبطُ بالشيعة، فهذه الرِّسالةُ صدرت في بدايات الغيبة، في الغيبةِ الأولى وفي زمانِ السفير الثاني.

يستمرُّ الإمام في بيانِ جُزءٍ وصفحةٍ من صفحاتِ الغيبة - **إِنَّهُ لَم يَكُن لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَد وَقَعَت فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ** - ليسَ بالضرورةِ أنَّ الأئِمَّةَ قد بايعوا جميعاً بشكلٍ مباشرٍ وواضح، ولكنَّهم بحسبِ الأمرِ الواقع عاشوا تحت سُلطةِ أولئكَ الخُلفاءِ والحُكَّام، فالبيعةُ جاريةٌ بغضّ النظرِ هل جرت مراسيمها الرسميَّةُ أو لا - **وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُج وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيْتِ فِي عُنُقِي** - هذهِ صفحةٌ ثانية من صفحات الغيبة.

إذاً ما هي الصفحةُ الثالثة الَّتي أشارَ إليها الإمام بهذهِ الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾؟ قطعاً هو لا يتحدَّثُ عن البيعةِ فإنَّهُ قد بَيَّنها، وإنَّما يتحدَّثُ عن شيءٍ آخر، هذا الشيءُ مَعيب لم يُشِر إليهِ إمامُ زماننا في هذهِ الرِّسالة في رسالةِ إسحاق بن يعقوب.

إذا رجعنا إلى الرِّسالتين الأولى والثانية اللَّتين وصلتا إلى المفيد من إمامِ زماننا:

- الرسالةُ الأولى وصلت سنة (٤١٠) للهجرة.
- والثانية وصلت سنة (٤١٢) للهجرة.
- والمفيد توفّي سنة (٤١٣) للهجرة.

في الجزء الثالثِ والخمسين من (بحارِ الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي،

في الرسالة الأولى إمامُ زماننا مُخاطباً الشيعةَ عِبرَ المفيد، وبَيَّن مِن أنَّ أكثرَ مراجعِ الشيعةِ قد ضلّوا، قد نقضوا عهدَ الإمامةِ والولاية، قد نقضوا بيعةَ الغدير: **وَمَعْرِفَتُنَا بِالزَّلَلِ الَّذِي أَصَابَكُم** - وفي بعضِ النُّسَخِ (بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُم) والمعنى واحد، هذا هو ذُلّ الضلال وذُلّ المعصية وذُلّ الابتعاد عن إمامِ زماننا هو هو إنَّهُ الزَّلل - **مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُم** - يا مراجعَ الشيعة - **إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا العَهْدَ الْمَأْخُوذَ مِنْهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون** - إلى آخر الرِّسالةِ الشريفة.

في الرِّسالة الثانية إمامُ زماننا يُخاطِبُ المفيد يُخبرهُ مِن أنَّهُ قد غَيَّر مكانهُ الَّذي كانَ فيه، لماذا؟ يقول: **أَلْجَأَ إِلَيهِ** - ألجأني إلى ذلك - **أَلْجَأَ إِلَيهِ السَّبَارِيتُ مِنَ الإِيْمَان** - السَّباريت جمعٌ لسُبروت، وهذا الوصفُ لا ينطبقُ على العبَّاسيّين، لأنَّ العبَّاسيّينَ لا إيمانَ لهم حتَّى يكونوا سباريتَ مِن الإيمان.

"السُّبروتُ من الإيمان"؛ هو القادرُ على أن يُحَصِّلَ الإيمان لكنَّهُ لا يسعى إليه، هذا هو السُّبروت.

في الرِّسالةِ نفسها الإمامُ هكذا يقول: **وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُم اللهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ القُلُوبِ فِي الوَفَاءِ بِالْعَهدِ عَلَيهِم لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُم اليُمْنُ بِلِقَائِنَا** - لكنَّهم ليسوا أوفياء، لو كانوا أوفياء لكُنتُ قريباً منهم، لماذا ذهبَ إلى مكانٍ بعيد؟ لأنَّهم سباريتٌ من الإيمان.

- وَلَتَعَجَّلَت لَهُم السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِهَا مِنْهُم بِنَا - لكنَّهم لا يملكونَ ذلك - **فَمَا يَحبِسُنَا عَنْهُم إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرهُ مِنْهُم** - إمامُنا يكرهُ واقعنا ولهذا ابتعدَ عنَّا وأوكلَ أمورنا إلى أنفُسنا، أوكلَ أمورَ الشيعة إلى هؤلاء السَّباريتِ في النَّجف، وهؤلاء ضيَّعوا أنفُسهم وضيَّعوا الشيعةَ معهم، هذا الحديثُ في بداياتِ الغيبةِ الكبرى.

الإمامُ يكرهُ واقعنا الشيعي، هذا هو الأمرُ الَّذي ما أرادَ الحُجَّةُ بنُ الحسن أن يتحدَّثَ عنه في توقيعِ إسحاق بن يعقوب؛ (**وَأَمَّا عِلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الغَيْبَةِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول: "يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"**)، الإمامُ ما أرادَ أن يُبَيِّنَ عيبَ الشيعةِ في هذا التوقيع ولكن حينَ تمادوا في غَيِّهم وذهبوا بعيداً في ضلالهم ها هو قائمُ آلِ مُحَمَّد يُرسِلُ الرسائلَ إلى المفيد كي يُنَبِّه الشيعةَ إلى حقيقةِ حالهم، ومِن أنَّ الإمامَ الحُجَّةَ يكرهُ واقعهم، والحديثُ هُنا ليسَ عن عامَّة الشيعة عن خاصَّة الشيعة، إمامُ زماننا بحسبِ هذهِ البيانات يكرهُ واقعَ المرجعيَّة لأنَّها مرجعيَّةٌ بَتريَّةٌ ضالَّة.

هُناكَ قانونٌ واضح يُحدِّثُنا عنهُ إمامُنا الباقر صلواتُ اللهِ عليه:

في (علل الشرائع) للصَّدوق، باب (١٧٩)، الحديثُ الثاني: **بِسَنَدِهِ، عَن مَروانَ الأَنْبَارِي، قَالَ: خَرجَ مِن أَبِي جَعفَرٍ صَلواتُ اللهِ عليه؛ إِنَّ اللهَ إِذَا كَرِهَ لَنَا جِوَارَ قَوْمٍ نَزَعَنَا مِن بَيْنِ أَظْهُرِهِم** - فإنَّ الله يكرهُ لصاحب الزَّمانِ أن يُجاورنا، أن يُجاورَ الشيعة، ومن هُنا فإنَّ إمامَ زماننا يكرهُ مجاورتنا..

صفحةٌ رابعةٌ من صفحات الغيبة:

في (علل الشرائع) للصَّدوق، الباب (١٧٩)، الحديثُ السابع، صفحة (١٩٢): **بِسَنَدِهِ، عَن حَنَانِ بن سَدير، عَن أَبِيهِ** - إنَّهُ سديرٌ الصيرفي - **عَن أَبِي عَبد الله** - عن إمامِنا الصَّادق صلواتُ اللهِ عليه - **قَال: إِنَّ لِلقَائِمِ مِنَّا غَيْبَةً يَطُولُ أَمَدُها** - إنَّها الغيبةُ الثانية الَّتي نعيشُ فيها نحنُ - **فَقُلتُ لَهُ: وَلِمَا ذَاكَ يَا ابْنَ رَسُول الله؟** - سَديرٌ الصيرفي يقولُ للإمام - **قَالَ: إِنَّ اللهَ أَبَى إِلَّا أَنْ يَجْرِيَ فِيهِ سُنَنُ الأَنْبِيَاء** - أَنْ يَجري فيهِ سُنَنُ الأنبياء، أو أنْ يُجريَ فيه، أنَّ الله يُجري فيهِ سُنَنَ الأنبياء، والقراءتان صحيحتان، والمعنى واحد - **إِنَّ اللهَ أَبَى إِلَّا أَنْ يَجْرِي فِيهِ سُنَنُ الأَنْبِيَاء فِي غَيْبَاتِهِم، وَأَنَّهُ لابُدَّ لهُ يَا سَدير مِن استِيفَاءِ مُدَدِ غَيبَاتِهِم، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: "لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَق"؛ أي سُنَناً عَلَى سُنَنِ مَن كَانَ قَبْلَكُم** - كلامُ الإمامَ واضحٌ وواضحٌ جِدّاً، مِن أنَّ السُّننَ الَّتي جرت في الأمم الماضية

ستجري في هذهِ الأُمَّة، بسببِ مواقفِ الأُمم الماضية كانَ للأنبياءِ من غيبةٍ هُنا ومن غيبةٍ هُناك عِبرَ تأريخ الأنبياء، فتلكَ السُّننُ تجري في هذهِ الأُمَّة مثلما قالَ لنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله: (ما جرى في الأمم الماضيةِ يجري في هذهِ الأُمَّة حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة وحَذوَ النَّعلِ بالنَّعل باعَاً بباع وذراعاً بذراع - القُذَّةُ ريشةُ السهم والباعُ هذهِ المسافةُ ما بينَ يدي الإنسان والذراعُ معروفٌ - ولو أنَّهم دخلوا جُحرَ ضَبٍّ - هذا الحيوانُ الصحراويُّ الزاحف من الزواحف - جُحَر ضَبٍّ لدخلتُم فيه)، سيجري في أُمَّتكم هذهِ ما جرى في الأُمم الماضية، القانونُ هوَ القانون - **"لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَق"؛ أي سُنَناً عَلَى سُنَنٍ مَن كَانَ قَبْلَكُم.**
الحكمةُ من هذا تفاصيلُ حكمةِ جريانِ سُننِ غيبات الأنبياء في برنامجِ غيبةِ إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.
في سورةِ آلِ عمران:
الآيةِ التاسعةِ والسبعين بعدَ المئةِ بعدَ البسملة: ﴿ **مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** - إذاً لابُدَّ من برنامجٍ للتمييز - **مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ** - الَّذينَ يدّعونَ ما يدّعون - **حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ** - يكونونَ واسطةً فيما بينهُ وبينكم - **فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾، أنتم لا تتطلّعونَ على الغيب ولذا فنحنُ لا نَطّلعُ على أسرارِ غيب الغَيبةِ كُلِّها وإنَّما نَطّلعُ على ما بَيَّنهُ لنا أئِمَّتنا وهذا هو الَّذي أُحدِّثكم به، أمَّا غيبُ الغيبةِ فذلك أمرٌ راجعٌ لإمامِ زماننا.
في (تفسير العياشي)، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الجزءُ الأوَّل/ صفحة ٢٣١/ رقم الحديث (١٧٥): **عَن عَجلانَ أبي صَالِح، قَال: سَمِعتُ أبَا عَبد الله** - سَمِعَ الصَّادقَ صلواتُ اللهِ عليه - **يَقُول: لَا تَمْضِي الأَيَّامُ وَاللَيَالِي حَتَّى يُنَادِ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاء؛ يَا أَهْلَ الحَقّ اعْتَزِلُوا، يَا أَهْلَ البَاطِلِ اعْتَزِلُوا، فَيَعْتَزِلُ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاء، وَيَعْتَزِلُ هَؤُلَاء مِنْ هَؤُلَاء** - يَخرجُ أهلُ الحقِّ من أهلِ الباطل كي يلتحقوا بأهل الحقّ، ويخرجُ أهلُ الباطلِ من أهل الحقّ كي يلتحقوا بأهلِ الباطل.
ليسَ بالضرورةِ أن يكونَ النداءُ مسموعاً، وإنَّما هي السُّننُ الإلهيةُ تجري فلابُدَّ مِن التمييزِ والتمحيص.
- قَالَ، قُلتُ: أَصْلَحَكَ الله، يُخَالِطُ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاء بَعْدَ ذَلِكَ النِّدَاء - بعدَ عمليّة العزلِ هذا هل يكونَ اختلاطٌ بينَ أهل الحقّ والباطل - **قَالَ: كَلَّا، إنَّهُ** - سُبحانه وتعالى - **يَقُولُ فِي الكِتَاب: "مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ"** - إنَّها الآيةُ من سورةِ آلِ عمران.
هذهِ السُّننُ الَّتي جرت في أمم الأنبياءِ سابقاً ستجري في هذهِ الأُمَّةِ، وستجري بشكلٍ مُكثَّفٍ في عصر الغيبةِ، وبشكلٍ مُكثفٍ أكثر وأكثر وأكثر كُلَّما اقتربنا من زمانِ وقتِ ظُهورِ الحُجَّةِ بن الحسن، كُلَّما اقتربنا من زمانِ ظهورِ إمامِ زماننا الحُجَّة بن الحسن.
في سورة الفتح:
الآيةِ الخامسةِ والعشرين بعدَ البسملة: ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ** - موطنُ الشاهدِ هُنا - **لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾، هُناكَ اختلاطٌ بينَ المؤمنينَ وغيرهم.
هؤلاء الَّذينَ كفروا ببيعة الغدير بحسبِ طريقةِ سقيفةِ بني ساعدة، أو بحسبِ طريقةِ سقيفةِ بني طوسي، السقيفتان كافرتانِ بالغدير، لكن لِكُلِّ سقيفةٍ طريقتُها وأسلوبُها في كُفرها ببيعة الغدير.
في (كمال الدين وتمام النعمة)، من المصدر الَّذي أشرتُ إليهِ قبلَ قليل: **عَن مُحمَّدِ بن أبي عُمَير عَمَّن ذَكَرهُ** - من أصحاب الأئِمَّةِ - **عن إمَامِنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عَليه، قَالَ، قُلتُ لَهُ: مَا بَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين لَم يُقَاتِل مُخَالِفِيهِ فِي الأَوَّل؟** - لم يُقاتِل مُخالفيهِ حينما عقدوا سقيفةَ بني ساعدة - **قَالَ: لآيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؛ "لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً"، قَالَ، قُلتُ: وَمَا يَعْنِي بِتَزَايُلِهِم؟ قَالَ: وَدَائِعُ مُؤْمِنُون فِي أَصْلَابِ قَوْمٍ كَافِرِين، وَكَذَلِكَ القَائِمُ لَم يَظْهَر أَبَدَاً حَتَّى تَخرُجَ وَدَائِعُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا خَرَجَت ظَهَرَ عَلَى مَنْ ظَهَرَ مِنْ أَعْدَاء اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَتَلَهُم** - الروايةُ واضحةٌ وصريحةٌ جِدَّاً.
روايةٌ ثانية: **عَن إبراهيمَ الكَرخي، قَالَ، قُلتُ لأبِي عَبد الله** - لإمامنا الصَّادق صلواتُ اللهِ عليه - **أَصْلَحَكَ الله، أَلَم يَكُن عَلِيٌّ قَوِيَّاً فِي دِينِ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَكَيفَ ظَهَرَ عَلَيهِ القَوْم وَكَيفَ لَم يَدْفَعهُم وَمَا يَمْنَعهُ مِن ذَلِكَ؟** - السؤالُ عن سقيفةِ بني ساعدةَ وأتباعِها - **قَالَ: آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنَعَتهُ، قَالَ، قُلتُ: وأيَّةُ آيَةٍ هِي؟ قَالَ: قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً"، إنَّهُ كَانَ لله عَزَّ وَجَلَّ وَدَائِعُ مُؤْمِنُون فِي أَصْلَابِ قَومٍ كَافِرِينَ وَمُنَافِقين، فَلَم يَكُن عَلِيٌّ لِيَقْتُلَ الآبَاءَ حَتَّى تَخرُجَ الوَدَائِع، فَلَمَّا خَرَجَت الوَدَائِعُ ظَهَرَ عَلَى مَن ظَهَرَ فَقَاتَلَهُ، وَكَذَلِكَ قَائِمُنا أَهل البَيْت لَنْ يَظْهَرَ أَبَدَاً حَتَّى تَظْهَرَ وَدَائِعُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا ظَهَرَت ظَهَرَ عَلَى مَن يَظْهَرُ فَقَتَلَهُ.**
الآياتُ والرواياتُ واضحةٌ هُناكَ عمليّةُ تمييزٍ للخبيثِ من الطيّب، وهُناكَ عمليّةُ تزايلٍ لابُدَّ من تزايلِ المؤمنينَ مِن أصلابِ الكافرينَ والمنافقين، هذا كُلُّهُ يجري في إطارِ السُّنن الَّتي جرت على الأنبياءِ سابقاً، فتلك السُّنن تجري في برنامجِ غيبةِ إمامِ زماننا،
صفحةٌ خامسةٌ وهي صفحةٌ مُهمَّةٌ جدَّاً:
أحاديثُنا الشريفةُ تحدَّثت بشكلٍ واضح من أنَّ الإمامَ الثاني عشر في سلسلة الأئِمَّةِ الأوصياء لابُدَّ أن يغيب، لابُدَّ لهُ مِن غيبةٍ، لماذا؟ لأنَّهُ هُو الثاني عشر.

على سبيل المثال؛ في (كمال الدين وتمام النِّعمة)، للصَّدوق: **قَالَ أَبُو خَالِدٍ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ** - يُخاطبُ الإمامَ السجَّاد - **ثُمَّ يَكُونُ مَاذَا؟ فَقَالَ إِمَامُنَا السَجَّادُ صَلواتُ اللهِ عَلَيه: ثُمَّ تَمتدُّ الغَيْبةُ بَولِيّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الثَّانِي عَشَرَ مِن أَوْصيَاءِ رَسُولِ اللهِ وَالأَئِمَّةِ بَعْدَه** - فالإمامُ الثاني عشر في سلسلةِ الأئِمَّةِ الاثني عشر، في سلسلة الأئِمَّةِ الأوصياء لابُدَّ أن يغيب.

قد تقولونَ ما معنى ذلك؟!

معنى ذلك واضحٌ؛ أوَّلُ صفحةٍ من صفحات الغيبةِ الَّتي حدَّثتُكم عنها من أنَّ الإمامَ غابَ كي يتجنَّبَ القتل، الأئِمَّةُ الأربعة عشر قُتلوا!! مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله قتلوه، عليٌّ قتلوه، فَاطِمَةُ قتلوها، الحَسَنُ قتلوه، الحُسَينُ قتلوه، وهكذا سائرُ الأئِمَّة إلى الإمام الحسن العسكري قُتِلوا جميعاً، لم يبقَ إلَّا هذا الإمام، مِن هُنا لابُدَّ أن يغيب وإلَّا سيقتلونهُ، وأوَّلُ السَّاعينَ في قتلهِ عمّهُ جعفر، جعفرُ الكذَّاب، لأنَّهُ الإمامُ الثاني عشر لابُدَّ أن يغيب.

قد يقولُ قائلٌ: يُقتل ويأتينا سُبحانهُ وتعالى بإمامٍ جديد!! القضيَّةُ ليست هكذا، هُناكَ نظامٌ تكوينيٌّ، ونِظامٌ إلهيٌّ سُبحانهُ وتعالى نَظَّمَ الوجود وفقاً لسلاسل الإمامةِ هذهِ:

- السلسلةُ الأم؛ الأئِمَّةُ الأربعة عشر.
- وسلسلةُ الأئِمَّةِ الأوصياء؛ الأئِمَّةُ الاثنا عشر، الإمامُ الثاني عشر هو آخِر إمامٍ في هذهِ السلسلة.
- وهو آخر إمامٍ في سلسلةِ الأئِمَّة الأربعة عشر، في سلسلةِ الإمامةِ الأم.

الكونُ بُني على هذا النظام، أن يقولَ قائلٌ بهذا القولِ فهذا قولٌ عبثيٌّ مِن أنَّه يُقتَل ثُمَّ يأتينا إمامٌ جديد، أئمَّتنا ما هم بِحُكَّامٍ سياسيّين، أئِمَّتنا ترتبطُ كُلُّ ذرَّةٍ في الوجودِ بهم هكذا نُخاطبهم في الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة: (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، هذهِ القضيَّةُ لا علاقةَ لها بالإمامةِ السياسيَّة، لو كانَ الأمرُ سياسيَّاً يُمكن أن يكونَ لنا من الأئِمَّةِ بحسبِ كُلِّ جيلٍ من الأجيال يكونُ هُناكَ إمام، في كُلِّ قرنٍ من الزَّمان رُبَّما يكونُ لنا أكثرُ من إمام، إذا كانت القضيَّةُ قضيَّةً سياسيَّةً محضة، أو كانت القضيَّةُ قضيَّةَ إفتاء وإبراز الأحكام الشرعيّة، الأمرُ أعظمُ من ذلك..

حينما نُخاطبهم في زيارةِ آلِ ياسين: (أَنْتُم الأَوَّلُ وَالآخِرَ)، **"وجوداً، وتكويناً، ونظاماً إلهيَّاً"**، وبعدَ ذلكَ يأتي الدِّينُ والتشريع، الدِّينُ والتشريعُ في حاشية المطلب، في حاشية المقام. فهذهِ الأعدادُ أعدادٌ ثابتة بُني الوجودُ عليها، لا يُمكننا أن نُغيِّرَ فيها ولا يُمكننا أن نعترضَ عليها، الاعتراضُ عليها اعتراضٌ سفيه، والتغييرُ فيها يُؤدِّي إلى الفسادِ في الوجودِ والتكوين.

حينما نقرأ في الكتاب المقدسِ لليهود في كتاب العهد القديم:

وقد قرأتُ ذلكَ عليكم في حلقاتٍ سابقة، مِن أنَّ الله يقول لإبراهيم بخصوصِ إسماعيل: (**مِن أنَّني أُباركهُ وأُثمِره وأُكَثِّرهُ، اثني عشر رئيساً يَلِد**)، لماذا هذا العدد؟ هذا في الكتاب المقدَّسِ لليهود، وهذا العددُ موجودٌ في كتاب اليهودِ في مواطن أخرى لكنَّني جئتكم بمثالٍ من الأمثلة، لماذا عددُ الحواريّين اثنا عشر؟ وهذا مذكورٌ في كتابهم المقدَّس أيضاً.

ماذا نقرأُ في الإنجيل في كتاب العهدِ الجديد في الكتاب المقدَّسِ للنصارى في سِفر رؤيا يوحنا؟

نقرأ في سِفرهِ: (**ثُمَّ ظهرت آيةٌ عَظيمةٌ في السَّماء؛ امرأةٌ مُتسربلةٌ بالشَّمس والقمرُ عندَ رِجليهَا وعَلَى رأسها إكليلٌ مِن اثني عشر كوكباً**)، لماذا هذا العدد؟ لا شأنَ لنا بالمرأةِ مَن هي، وإن كانَ الأمرُ واضحاً بالنسبةِ لنا.

ولماذا في صحيح البخاري وصحيح مسلم مِن أنَّ الأئِمَّة مِن قريش اثنا عشر، لماذا كُلُّ هذا؟ لماذا التركيزُ على هذا العدد؟!

لماذا نقرأُ في القُرآنِ في سورةِ التوبة في الآيةِ السادسةِ والثلاثين: ﴿إِنَّ **عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾؟ إنْ كانَ الحديثُ عن شُهور السَّنةِ فلماذا جُعِلت بهذا العدد؟ الآيةُ لا تتحدَّثُ عن شهور السَّنةِ، ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾، فهل أنَّ معرفةَ شهور السنةِ يُقالُ لها دينٌ قَيِّم؟ ذلكَ الدِّينُ القَيِّم؛ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، إنَّها سلسلةُ الأئِمَّةِ الأوصياء من عليٍّ إلى القائم، وهذا أدلُّ دليلٍ على إمامةِ فَاطِمَة، لأنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عليهِ وآله لم يُذْكَر هُنا ذُكِرَ الاثنا عشر فقط، الإمامان الباقيان هُما إمامان في سلسلةِ الأئِمَّةِ الأربعة عشر، ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم** - العليُّونَ الأربعة؛ عليُّ المرتضى، عليُّ السجَّاد، عليُّ الرِّضا، عليُّ الهادي - **ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾، الدِّينُ القَيِّمُ أئِمَّتُنا إنَّهم الأئِمَّةُ الاثنا عشر، هذهِ سلسلةٌ فرعيّة وإلَّا إذا قلنا هي السلسلةُ الأصل فإنَّنا قد أخرجنا مُحَمَّداً مِنَ الدِّين القَيِّم وهُنا تأتي فَاطِمَة، ﴿**وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة**﴾، كما في الآية الخامسةِ بعدَ البسملةِ من سورةِ البينة، دينُ القَيِّمَةِ هو الدِّينُ القَيِّم.

بقيت عندنا صفحةٌ واحدة من صفحات الغيبة أختم بها حديثي:

في كمال الدين وتمام النعمة: **عَن عَبد الله بنِ الفَضَل الهَاشِمي، قَالَ، سَمِعتُ الصَّادِقَ جَعفَر بنَ مُحمَّد يَقُول: إنَّ لِصَاحِبِ هَذا الأَمْرِ غَيْبَةً لابُدَّ مِنْهَا يَرْتَابُ فِيهَا كُلُّ مُبْطِل** - "لابُدَّ منها"؛ للثاني عشر كما قلتُ لكم - **فَقُلتُ: ولِمَا جُعِلتُ فِدَاك؟ قَالَ: لِأَمرٍ لَم يُؤْذَن لَنَا فِي كَشْفِهِ لَكُم، قُلت: فَمَا وَجهُ الحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِه؟ قَالَ: وَجْهُ الحِكْمَةِ فِي غَيبَتِه وَجهُ الحِكْمَة فِي غَيْبَاتِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِن حُجَجِ اللهِ تَعَالَى ذِكرُه** - من الأنبياءِ أو من الأئِمَّةِ أكانت غيبةً واسعةً أم كانت غيبةً ضيِّقة - **إنَّ وَجْهَ الحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ لَا يَنْكَشِفُ إلَّا بَعْدَ ظُهُورِه** - هُناكَ جانبٌ من صفحاتِ حكمة الغيبةِ لا تنكشفُ إلَّا بعدَ ظهورهِ، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ الأئِمَّةَ لم يكشفوا لنا عن صفحاتِ حكمةِ غيبتهِ صلواتُ اللهِ عليه ولو في بعض الجهات - **كَمَا لَم يَنْكَشِف وَجهُ الحِكمَةِ فِيمَا آتَاهُ الخِضْر مِنْ خَرْق السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الغُلَامِ وَإِقَامَةِ الجِدَارِ**

- لم ينكشف لموسى - **إِلَى وَقْت افتِرَاقِهِمَا، يَا ابْنَ الفَضْل، إِنَّ هَذَا الأَمْر أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ الله تَعَالَى، وَسِرٌّ مِن سِرِّ الله، وَغَيْبٌ مِن غَيْب الله، وَمَتى عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ صَدَّقْنَا بِأَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا حِكْمَةٌ، وَإِنْ كَانَ وَجْهُهَا غَيرَ مُنْكَشِف** - فَهُناكَ صفحاتٌ مِن حِكمة الغيبةِ بَيَّنوها لنا وقد عرضتُ ما عرضتُ منها بينَ أيديكم، وهُناكَ صفحاتٌ من حِكمةِ غيبةِ إمامِ زماننا سيُبَيِّنها صلواتُ اللهِ عليه عِندَ ظُهورهِ الشريف.